

إبراهيم الحسين في مجموعتيه "يخطئ الموتى" و "يسقط الآباء حجرًا حجرًا"

رغم أن الموت نهاية الإنسان إلا أن الشاعر إبراهيم الحسين من فرط الأسى وشدة الحزن التي يتركها الموتى في محبيهم؛ يرى أن الموتى يخطئون في حق أقاربهم وأحبا بهم، وأنهم يختارون موتهم متعجلين، ويتمنى أن يصلحوا خطأهم وأن يعودوا: "ماذا لو أن الموتى أصلحوا خطأهم! هل سيكون سهلاً أن نجد عيوننا ننظر إليهم... تعالوا فهوأؤكم الذي تركتموه ما زلنا نحتفظ به لكم رطباً بعيوننا"

الشاعر إبراهيم الحسين في مجموعته الشعرية (يخطئ الموتى) الصادرة 2022 عن منشورات تكوين "نبوءات" يضعه وجع الفقد والرحيل في حالة ذهول وشroud، تلعب به المرارة والألم إلى درجة أنه يصفهم بـ "الجهلة" لفداحة خطأهم في أنهم ماتوا متعجلين: (يتعجلون ولا يريدون أن يفوتهم الخطأ)، وأن اختيارهم هذا هو "خطأ عريض" وشجاعة، وأنه "لترجية الوقت وكي يسلاّوا أنفسهم..." فهو يحمّل الموتى خطأ الذهاب دون أن ينتهوا من أعمالهم: (يتعجلّون فلا يكملون أذرعهم ولا يتمّمون أقدامهم، بينهم وبين ذلك خطأٌ عريض) "نص 3"، لا يستفيق من صدمة رحيل موته المفاجئ، غير مبالين لأحد.

يتناول الحسين الموت في 59 نصّاً في المجموعة التي أهداها إلى أمّه "الجوهرة صالح المرحوم" يحاول أن يعثر على معنى أو أن يجد جواباً عن الموت ومن الموتى أنفسهم، ويسألهم إن كان عليهم أن يعودوا، لأنهم: (يرتكبون موتهم غير مبالين بأحذيتهم، غير مبالين ببقايا حكاياتهم ولا نبراتهم التي ألصقوها عالياً في الهواء) "نص 1" نصوص عن الموت والموتى تضجُّ بالحياة والدموع والأسى والفقد والغياب.

رغم رصيد الأدب العربي الحافل بقصائد الموت والحزن على الموتى، إلا أن إبراهيم الحسين يطرح رؤية جديدة عن الموت القاهر، عن المسافرين الذين يرمّون حقائبهم على عجلة من أمرهم ويرحلون دون توديع، دون مراعاة لمشاعر من حولهم، دون مبالاة بما سيتركون وراءهم من حكايات لم تكتمل.

الشاعر هنا يقول ما لم يقال أو لن يقال، ويكتب ما لم يكتب من قبل عن الموت والفقد ووحشة الغياب. فلطالما كانت الكتابة عن الموتى من جانب المعزّي والفاقد الذي بلا حول ولا قوة منه، ويظهر في القصيدة مدى الحزن الذي تركه في أحبابه، وأنه غادر بقضاء وقدر ولن يعود ولا بد من الصبر والسلوان، إلا أن الشاعر الحسين لتعلّقه الشديد بموته وبمحبتة العميقة والأصيلة لهم يرفض ذلك ولا يقبله لشدة

وجعه، ويرى أنه قاموا بفعل يمكن تصحيحه أو التراجع عنه. يقول في "نص 1" (كانوا أسوياء لكن لا تدري كيف أسقطوا سويتهم كلها، كيف نكثوا عهودهم، جددوا غرفهم وأبوابهم... كانوا عاديين جداً لا تتوقع خطأهم الذي أقدموا عليه.. عاديين جداً لا تعلم كيف واتاهم الانصراف الكامل فلم يترددوا ولم يتشاغلوا عنه أو يصرفوه... كانوا وكانوا وكانوا حدّ أنهم أوقعوك في موتهم).

تجربة "يخطئ الموتى" هي امتداد لتجربة سابقة، وهي مجموعته الشعرية "يسقط الآباء حجراً حجراً" منشورات تكوين 2019

يسقط الآباء حجراً حجراً

نقرأ الكتاب، يسكننا ثم نكتب عنه فيغادرنا، نشعر تجاهه بالرضا أننا انتصرنا عليه أو على الأقل قمنا بواجبنا تجاهه. المجموعة الشعرية "يسقط الآباء حجراً حجراً" للشاعر إبراهيم الحسين " 69 نصاً" لا تغادرك، أو لا تتركك تغادرها.

يكتب إبراهيم الحسين عن أبٍ يتداعى أمام أبنائه. تتداعى أيامه وتذهب يوماً بعد يوم. أبٌ (ترك اسمه على السرير، ترك حروف حكايته كاملة، أطفأها دفعة واحدة؛ هكذا وهكذا وهكذا قضي الأمر) أب يتخلّى عن حياته حجراً حجراً، جملةً جملةً، يوماً بعد يوم يتجرد منها حتى أن ابنه لم يعد يعرفه وينكره (وأذكر أنني كنتُ أنظرُ إلى قدميه وأفكّر أنني لا أعرفهما ولا أعرف من أين جاءتا)

كتاب لا تنتهي من قراءته ثم تمضي في سبيلك، من الصعب تجاوزه، نصوص تتجدد كلما عدتَ إليها وقرأتها مرة أخرى، تضعك في حالة تحدٍ. تحدٍ بين الشاعر والناقد، بين النص وقراءته، بين قراءته والكتابة عنه. نصوص تكشف لك جملة لم تلاحظها من قبل، أو ربما لاحظتها وانتبهت إليها ووقفت طويلاً عند شراستها وتأمّلها، تقرأها ولا تستطيع أن تمتلكها. لا تستطيع الإمساك بها من شدة جمالها، نصوص مثل طفلة في الحقل سارحة في التعبير ولاهية في تدفق الكتابة، مثل بهجة العشب تقفز في وجهك وتتطاير أمامك، مثل صليل سلاسل لسجين، مثل نصل بارد مثل عذاب ناصع. نصوص لا زالت في ملكية الشاعر لا تستطيع أن تنتزعها من يديه، فقد نقش عليها اسمه وألمه ووجعه ورسم عليها صورته واسم أبيه وعلاماته الفارقة، التي صارت فارغة، راح وجهه يختفي وبدأت أعضاؤه تغادر عضواً عضواً وتسقط حجراً حجراً. (لكنّ ولكنّ ولكنّ ولكنّ تكالبت عليك كلاًها ودفعتك بقسوة لتجد نفسك فجأة مرتطملاً ومتكوماً بقاع حفرة بكائك؛ التي وجدتُ نفسي هكذا أقف على حافّتها جامداً...)

كتابة خاصة بإبراهيم الحسين وفي الوقت ذاته تشعر أنها نصوصك الخاصة وأنتك الابن الذي كنتَه والأب الذي ستكونه. تودّ لو أن لك ابناً تسكن في داخله عميقاً، يعرفك وينتبه إليك ويقرأ ملامحك ويكتب عنك مثلما يفعل إبراهيم الحسين لأبيه.